(قيم إنسانية – العمل)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمَ الأخلاق».

إن مما يتميز به الإنسان عن أخيه الإنسان وعن سواه من المخلوقات عملَه وفاعليتَه وإنتاجَه، ويُعَدُّ العملُ من أخطر قضايا الإسلام، ومن أوسع مواده غنى في مصدري التشريع.

ورد ذكر العمل واشتقاقاتِه في القرآن الكريم مئات المرات، وحوى القرآن الكريم آلاف الأفعال سواء كانت فعلَ أمر أو فعلاً ماضياً أو مضارعاً، مبنيةً للمعلوم أو المجهول، فضلاً عن أسماء الأفعال.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس:71-73]، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:37]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء:80]، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ﴾ [الحجر:82]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء:94]، وفي كل هذا دليل على أهمية العمل والحركة والفعل والإنتاج في الإسلام، وحضٌّ وترغيب لأبنائه ألا يتوقفوا عن العمل النافع.

حدَّث رسول الله ﷺ أصحابه كثيراً عن العمل، ودفعهم إليه، فكان يقول لهم –كما روى البخاري–: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاس أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»، وأخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»، وأخرج الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ».

وعمل النَّبي ﷺ في التجارة، وعمل في رعي الغنم، وعمل في بناء المسجد، وعمل في حفر الخندق، وعمل في مهنة عياله.

وحدَّث ابن عباس رضي الله عنهما عن كل نبي من أنبياء الله ما كان يعمل.

وتروي كتب التراجم والسير أعمال الصحابة المختلفة رضوان الله عليهم، وكذلك أعمال التابعين من الأئمة الأعلام.

العمل قيمة إنسانية عليا، تشكل هوية الفرد والمجتمع، وهو وسيلة لكسب الرزق الحلال من جهة وعنصر رئيس في بناء الحضارات وتقدم الأمم من جهة أخرى، قال الحسن البصري: "ما من يوم ينشق فجره إلَّا نادى منادٍ من قبل الحقِّ: يا ابن آدم أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملك شهيدٌ، فتزود منِّي بعمل صالح، فإنِّي لا أعود إلى يوم القيامة".

والحمد لله رب العالمين